

حتى نلقاه

طريق الوصول إلى الله

إعداد

أنس جمال الدين البسطاوي

كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين،،، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،،

وبعد

فلما كان للعلوم الشرعية المنضبطة الأهميّة الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشُّبهات والمشكّكين في ثوابت الدين من هنا وهناك، وحيث انتشر الجهل والبُعد عن طلب العلم والتّفقّه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصّحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلميّة وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيّبة، ولو كانت بسيطة، عدّة لهم وتحصيناً أمام الشُّبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمّدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحي دراسة العلوم الشرعيّة، والتّفقّه في الدين.

وانطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان ؓ،

قال رسول الله: "ﷺ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر-**رضي الله عنهما**- قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عزوجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو

تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا...^(١)

ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمورا سبعة يجري ثوابها على الإنسان في قبره وبعد موته ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته :من علم علما ، أو أجرى نهرا ، أو حفربئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته »^(٢)

وفي رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، ولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »^(٣)

(١) (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)

(٢) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم : ٣٥٩٦.]

(٣) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨]

وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطاً في سبيل الله ، ومن علم علماً أجرى له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له »^(٤)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

وقد نظمها السيوطي في أبيات فقال :

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ، ودعاء نجل	وغرس النخل ، والصدقات تجري
وراثه مصحف ، ورباط ثغر	وحفر البئر ، أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناء يأوي	إليه ، أو بناء محل ذكر

^(٤) [وانظر صحيح الجامع حديث رقم ٨٩٠]

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً،
وأن يكون زخراً لنا ولكل مسلم، ونوراً على الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا
ولعموم المسلمين... اللهم آمين يا رب العالمين،،،

المشرف العام

ناصر بن صالح بن حسين السادة

تمهيد وتقريظ

الحمد لله رب العالمين، خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بتقواه، وجعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان، والآخرة دار القرار والجزاء، فقال **سبحانه**: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ** [الملئ: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أعظم ما يشغل قلب المؤمن أن يلقي ربه وهوراضٍ عنه، وأن يختم له بخير، فإن الدنيا مهما طالَّت فهي قصيرة، وأيامها معدودة، وكل نفسٍ تقترب في كل لحظة من موعد لقاء الله تعالى، قال **سبحانه**: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْصِيهِ﴾ ** [الانشقاق: ٦]، وقال عزوجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ** [العنكبوت: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ** [الحجر: ٩٩].

ومن أجل ذلك جاء هذا البحث الموسوم بـ «حتى نلقاه» **: ليكون تذكراً لكل مسلم بأن طريق النجاة لا ينقطع حتى آخر الأنفاس، وأن الثبات على الحق، ولزوم الكتاب والسنة، والمحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل، ومجاهدة النفس، والتوبة الدائمة، هي سبيل الفوز برضا الله تعالى وحسن لقائه.

وقد رَغِبَ النبي ﷺ في الاستعداد للقاء الله، فقال: ****«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»**** متفق عليه، وقال ﷺ: ****«إنما الأعمال بالخواتيم»**** رواه البخاري، وقال ﷺ: ****«اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**. ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه فتح لهم باب التوبة ما داموا في زمن المهلة، فقال **سبحانه**: ****﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾**** [الزمر: ٥٣]، وقال جل شأنه: ****﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾**** [هود: ١١٢]. وقد قام بكتابة هذا البحث الأخ الفاضل ****أنس جمال الدين البسطاوي****، جزاه الله خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله، ونفع به الإسلام والمسلمين، وتقبله في صالح أعماله. وقد رأينا نشره وتيسيره لإخواننا من طلاب العلم؛ رجاء أن يعم نفعه، وأن يكون صدقةً جاريةً لمؤلفه ولكل من ساهم في نشره وإخراجه.

ونسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارنه، وأن يرزقنا الثبات على الحق حتى نلقاه، وأن يختم لنا بالحسنى، ويجمعنا بنبينا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمود أبو نور الدين

باحث شرعي

والمشرف الدعوي لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

تقريظ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى
آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه سلسلة «ما يجب على المسلم أن يعرفه»، وهي سلسلة علمية مختصرة، أُعدت لتجمع للمسلم أهم المسائل التي يحتاج إلى معرفتها في دينه، بأسلوب واضح وميسر، مع العناية بالتعريف بالمسائل والأحكام وذكر ما تيسر من الأدلة، لتكون عوناً للمسلم على فهم دينه والعمل به. وقد قصد المؤلف أن تكون هذه السلسلة نافعة للمسلم في حياته، وأن تساعد على معرفة ما يجب عليه من أمور العقيدة والعبادة والفقه والتجويد والسيرة وغيرها من العلوم التي يحتاج إليها المسلم، وأن تكون بداية طريق لمن أراد طلب العلم والتزود من الشريعة.

وندعو شباب المسلمين وعموم المسلمين إلى العناية بهذه العلوم، وقراءتها ومدارستها، والأهم من ذلك العمل بما فيها؛ فليس

المقصود من العلم كثرة المعلومات، وإنما أن يعرف المسلم الحق
فيتبعه، ويعرف الباطل فيجتنبه، ويعبد الله تعالى على
بصيرة. ونسأل الله تعالى أن يجعل هذه السلسلة نافعة مباركة، وأن
ينفع بها من قرأها أو علّمها أو أعان على نشرها، وأن يكتب لها
القبول، وأن يجعلها سبباً في هداية المسلمين وتعليمهم.

ونسأل الله أن يغفر لمؤلفها، ويبارك له في علمه وعمله، ويجعل ما
كتبه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعه بما علّمه، ويجعل هذه
السلسلة صدقة جارية له في حياته وبعد مماته، وأن يكتب له أجر كل
من انتفع بها، وأن يتقبل منه ويجزيه خير الجزاء.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضيلة الشيخ جمال الدين عباس البسطاوي

من علماء الأزهر الشريف

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى
آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن «سلسلة ما يجب على المسلم أن يعرفه» جاءت لتكون زادًا
مختصرًا ونافعًا لكل مسلم، تجمع بين يدي القارئ أهم ما يحتاج إليه
من أمور دينه، مما لا ينبغي لمسلم أن يجهله، ولا يستغني عنه في
عقيدته وعبادته وأخلاقه ومعاملاته وحياته.

وقد كان الدافع إلى إعداد هذه السلسلة هو الحاجة إلى مادة علمية
ميسرة وواضحة، تجمع أصول ما يحتاج إليه المسلم في حياته، وتكون
قريبة من كل بيت مسلم؛ فهي منهج مبسط لأطفال المسلمين،
ومعين نافع لشبابهم، ومرجع يسير للكبار، وزاد لكل من أراد أن
يتعلم من دينه ما لا يسعه جهله.

وليس المقصود من هذه السلسلة أن تستوعب جميع أبواب العلم الشرعي، وإنما أن تضع بين يدي المسلم الحد الأدنى من العلم الذي ينبغي أن يعرفه ولا يجهله؛ ليعبد الله على علم وبصيرة، ويعرف ما يجب عليه، وما يحرم عليه، وما يحتاج إليه في دينه ودنياه.

وقد روعي في إعدادها أن تكون سهلة العبارة، واضحة الترتيب، قريبة من الفهم، مع الاستدلال بما تيسر من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وذكر الأمثلة والتوضيحات التي تعين على الفهم والحفظ والعمل.

وإننا نرجو أن تدخل هذه السلسلة كل بيت مسلم، وأن تكون عوناً للآباء والأمهات في تعليم أبنائهم، ومنهجاً مبسطاً للصغار، ومعيناً للشباب، ومذكراً للكبار؛ حتى ينشأ المسلم وهو يعرف أصول دينه، ويدرك ما يجب عليه تجاه ربه ودينه ونفسه ومجتمعه.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجعله سبباً في نشر العلم النافع، وإحياء المهمة في

تعلم الدين والعمل به، وأن يوفق أبناء المسلمين إلى التمسك بكتاب
الله وسنة رسوله ﷺ.

وما كان فيه من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من
خطأ أو تقصير فمن نفسي، والله تعالى أسأل أن يعفو ويغفر ويسدد.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

أنس جمال الدين البسطاوي

إهداء

إليك يا بني.. لكي تعلم أنني لم أتخلَّ عنك رغم

جرحي.

إلى كل مسلم أراد السير والوصول إلى الله، لعلها

نسمة من نسمات الرحمن يغفر لنا بها جميعاً،

ونكون بها من المقربين.

إلى والدي وإخوتي الذين كانوا وما زالوا عوناً لي في

طريقي، ولطالما ضمدوا لي جرحي.

المقدمة

هذا ليس مؤلفاً، ولا كلمات أجاد صاحبها تنسيق عباراتها، وإنما هي رسالة ممن ساروا إلى الله حتى وصلوا إليه، فأرسلوا إلينا بهذه الكلمات شفقةً منهم علينا في زمان غابت فيه الشمس، فأظلمت فيه الدنيا، وعمّ الظلام كل الأرض، حتى خرج جيل كبير من الناس ظنوا أن الدنيا خلقت هكذا بلا نور!

أرسلوا لنا هذه الرسالة خوفاً منهم علينا بعدما رأوا رايات الشيطان قد علت، وارتفع صوته بين البشر، وسادت كلمتهم فيهم حتى عمّ الفساد، فاتبعوه وأصبح يحركهم بسهولة بعدما لبس عليهم رايات الحق ورايات الضلال، فانقضّ عليهم هو وجنده حتى فرّقهم في الطرقات.

أرسلوا إلينا بهذه الرسالة ليخبرونا أن الرحمن ينادي علينا في كل حين لنعود إليه، وليُعلمونا أن السير في طريق الله سهل وجميل، وأنه يشرح الصدور وينير الوجوه، ويمنحك السعادة والسرور في الدنيا والآخرة. كما قال الشاعر:

وَإِذَا الْعِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُونُهَا ... نَمَ فَاَلْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَّا

وَاصْدَقْ بِعِزِّكَ فِي الْمَتَابِ لِرَبَّنَا ... فَالْصِّدْقُ فِي طَلَبِ الْوُصُولِ ضَمَانٌ

أرسلوا إلينا لكي لا نتأخر عن السير إلى الله، فهو الحل الوحيد للنجاح والصالح للإنسان وللأكوان جمعاء. أرسلوا إلينا لكي نسعى إلى حب الله؛ لأنه إذا أحببك، أغلق أمامك كل طرق الشر حتى يدلك على طريقه، وأغلق أمامك كل أبواب الشيطان والبعد ليقربك من بابه، ويذيقك لذة القرب منه.

هذه الرسالة لتُعيد حسابات نفسك مرة أخرى، فلعلك تظن نفسك أنك تسير في طريقه أو قريب من بابه، ولكنك في الحقيقة في طريق آخر غير طريق الله، وببينك وبينه أبواب كثيرة مغلقة. فيا رب لك الحمد على هذه النعمة رغم قسوتها، ولك الحمد على من فهمته سر حكمتك ورضيت له بالقرب منك.

هذه الرسالة ممن ساروا في طريق الله فاعترضهم الشيطان ليردهم عن هذا الطريق، فصارعوه وتغلبوا عليه، حتى تضاعل أمامهم وأصبح كالذباب، فخرجوا من سلطانه. فأرسلوا لنا هذه الرسالة لينبهونا أن الشيطان يجلس لنا في كل طريق، وليرشدونا إلى طرق التغلب عليه لنسلم منه في الدنيا وننجو أيضاً من الهلاك معه في الآخرة.

فهوم الوصول إلى الله

جاء النبي صلى الله عليه وسلم فرَّبى الصحابة الكرام وعلمهم كيف يعيشون في هذه الحياة الدنيا، وكيف يعمروها ويعمرون معها آخرتهم. فبالرغم من أنهم كانوا يبحثون في حياتهم عن رضا الرحمن، إلا أنهم لم يهملوا دنياهم، ولم يفرقوا بين حياتهم ودنياهم وبين آخرتهم، بل كانوا يمهّدون الدنيا وأعمالهم فيها ويوصلونها بالآخرة، فيجعلونها جسراً يمرّون به إلى الآخرة في سلام.

كانوا يعيشون بمقتضى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فكانت صلاتهم (أي عبادتهم وطاعتهم)، ونسكهم (أي ذبحهم وتقربهم)، وحياتهم (من تجارة وطعام ونوم وزواج وكل شيء) كلها لله رب العالمين. فهموا حقيقة معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة لا تعني الانقطاع التام والغياب الكامل عن الدنيا وعن الخلق وعن إصلاح الأرض، ولا تعني تخلص الإنسان من طبيعته البشرية فلا يتزوج أو يأكل أو ينام؛ ولو أراد الله تعالى منا ذلك لخلقنا ملائكة، أو لأعطانا قوة تشبه قوة الملائكة، أو على الأقل لم يخلق فينا متطلباتنا الحياتية التي نحتاج إليها.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الصحابة الكرام يعيشون وفق هذه الآية، فينظمون حياتهم وفق ما أراد الله، فيجعلون صلاتهم وعبادتهم وتجارتهم ونومهم وطعامهم وزواجهم وملاعببتهم للأهل كل ذلك لرضا الله وطاعة له، فيكون كل عمل يقوم به الإنسان عبادة متصلة بعضها ببعض. ينتقل من صلاته وتجارته ونومه وكل حياته من عبادة إلى عبادة، فيكون كل شيء في حياة العبد يسير معه ويصحبه في طريقه للوصول إلى الله.

ويكون بذلك الوصول إلى الله سبحانه وتعالى ليس صعباً كما يصور لنا كثير من الناس، فلا يحتاج القرب من الله إلى كثير من الوقت والجوع ولبس الخشن والانطواء والبعد عن الحياة، ولا يحتاج إلى كثير من الجهد والتعب حتى يرقّ عظمك ولا تستطيع أن تقوم بشؤون حياتك كي تكون قريباً من ربك. فالله لم يخلق الإنسان في الأرض ليكون منعزلاً على الدوام فلا يعمر الأرض، ولم يخلقنا لكي نتسلط على أجسادنا التي هي مناط التكليف منه سبحانه حتى تضعف هذه الأجساد في وقت يقوى فيه أعداء الإسلام.

ولكن خلقنا لكي نحيا ونعمر الأرض، ونحن نستصحب ديننا ونسعى لرضاه في كل حياتنا. فلو استرشد الإنسان في كل فعل يفعله برضا الله، فسيكون كل فعل يفعله طريقاً يصل به إلى الله. فإن كل شيء خلقه الله

وأحلّه لعباده من طعام وشراب وتجارة وزواج وسعي في الأرض، كل ذلك إذا قصد الإنسان به رضا الله فإنه يصل به إلى الله وإلى حبه ورضاه.

شرف العمل الحلال: لقد سلّم النبي صلى الله عليه وسلم يوماً على رجل فوجد يده تشققت وخشنت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «مِمَّا هذا؟» فقال الرجل: «من العمل»، فقبل النبي يده وقال: «هذه يد يحبها الله ورسوله».

السعي في حوائج الناس: بل ربما قضاء مصالح الناس والسعي في حوائجهم يكون أحب إلى الله ويقربك من الله أكثر من مكوثك في المسجد على غير فريضة. فقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً تظهر عليه علامات الفقر ويمكث دائماً في المسجد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «من ينفق عليك؟» فقال له الرجل: «أخي»، فقال له النبي: «أخوك خير منك».

فضل قضاء الحوائج: بل سعيك في قضاء مصالح الناس ربما يكون خيراً من الاعتكاف في مسجد النبي، قال صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أُمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تُقْضَى لَهُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا».

أمانة التجارة: وليس فقط الثواب العظيم لمن يقضون مصالح الناس، بل التجارة ابتغاء العيش الحلال تصل بك إلى أعلى الدرجات في الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء».

فإذا أدت الفروض التي فرضها الله عليك ثم سرت في أمور حياتك تبتغي بذلك رضا الله، فستصبح كل أمور الحياة كلها طرقاً تصل بك إلى الله. فالوصول إلى الله سهل وطرق الوصول إليه عديدة، فسبحانه قريب وأبوابه مفتوحة دائماً، فلا يرد تائباً، ولن يجد العائد إلى الله على بابه حاجباً أو حارساً أو وزيراً يمنعه. فلا يحتاج القرب منه إلى قراءة مجلدات أو السعي عدة شهور حتى يستطيع الإنسان بعد جهد طويل أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى، فالوصول إلى الله سهل يسير، بل في لحظات تكون بين يديه يسمعك وتشعر بقربه ولكن عليك أن تقترب منه.

١ طرق الباب

في ذات يوم جلس رجل تحت شجرة يفكر كيف يصل إلى الله، وأخذ يفكر في هذا الأمر وقتاً طويلاً، فلمح امرأة قد غضبت على ولدها الصغير فألقته خارج البيت وأغلقت خلفه الباب، فقام الولد يبكي ويطلب الباب بشدة وهو يكرر: "افتحي يا أمي.. افتحي يا أمي"، فرق قلبها وفتحت له الباب واحتضنته وأدخلته. فقال الرجل: "من أدمن طرق الباب يوشك أن يُفتح له!". وكما قال الشاعر:

وَإِنَّ بَابَ مُرَادِ اللَّهِ مُتَّسِعٌ ... لِكُلِّ مَنْ أَمَّهُ بِالصِّدْقِ وَابْتَهَلَ
فَاطْرُقْ جَنَابَ الرِّضَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... فَمَنْ أَلَحَّ عَلَى الْمُؤَلَى فَقَدْ وَصَلَ

٢ الدعاء

فإن الدعاء هو أول الطرق للوصول إلى الفلاح في كل الأمور، ذاك الباب الذي يغفل عنه كثير من الناس. ولذلك إذا أراد العبد الوصول إلى الله فيجب عليه أن يتعمد ويتقرب أوقات الطاعة ويأخذ بأسباب الإجابة من طهارة القلب والبدن، وأن يلح ولا يمل الطرق على أبواب السماء، ويدعو بصدق أن يرزقه الله حسن الطاعة ولذة القرب منه سبحانه، وأن يفتح له

أبواب رحمته، وأن يعفو عنه فيما فات من الذنوب ولا يجعلها سبباً في الحرمان.

موعظة في العقوبة الخفية: يُروى في الأثر عن رجل يعصي الله فقال يوماً: "يا رب، كم أعصيك وأنت لا تعاقبني؟" فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: "قل له: يا عبدي، وكم أعاقبك وأنت لا تدري؟! ألم أحرمك لذة مناجاتي؟!".

فعلى العبد أن لا يستهين بالدعاء، فهو الدرع لكل خائف، والسهم النافذ، والمال الرابع، والصوت المسموع، وبه ينزل التوفيق. فكل عمل أو طاعة ليس فيها توفيق من الله ناقص وضعيف وغير مقبول، ولا يأتي التوفيق من الله إلا بالدعاء، فهو محراب العابدين، ونجدة الملهوفين، وحبل النجاة لمن غرقوا في بحار البعد عن الله، وهو عصا المتعثرين في الحياة، فلم التأخير ولم التكاسل في رفع اليدين إلى السماء؟

فإذا اختلط الدعاء بالرجوع عن المعاصي والندم على ما فات من تقصير في حق الله، فإنه يجلب رضا الرحمن. وإذا اختلط بالدموع والتوبة الصادقة فإنه يدفع السخط والعذاب في الدنيا والآخرة. فلا تستقل بالدعاء، فبالدعاء يسبق الداعون من اتكل على عقله أو ماله.

وقد فتح الله بهذا الدعاء المستجاب باباً في السماء غير مغلق في وجوه الواقفين عليه، فهو باب من رضا لنفسه، اسمه "الرحمن" لجميع خلقه، واسمه "الرحيم والودود" لعباده المؤمنين الذين يطلبون رضاه.

□ قصص الأنبياء مع الدعاء:

١. سليمان عليه السلام: ناداه نبي الله سليمان بعدما اختبره ربه، فرفع يديه إلى السماء ودعا ربه باسمه الوهاب: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، فاستجاب الله له وأعطاه قطرة من جوده وخزائنه لن يملك مثلها أحد إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٦-٣٧].

٢. أيوب عليه السلام: وعندما أراد أن يتخلص من تسلط الشيطان بعدما أصابه بنصب وتعب، فدعا رب العالمين، فجاء إليه الرد شافياً معوضاً عما فات، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَلِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٢-٤٣]، فسعد بالعافية والولد، وكذلك كل مريض ومصاب ومبتلى إذا أخلص دعاءه لله سيسعد ويُعوّض كما عوّض أيوب.

٣. زكريا عليه السلام: بعدما اشتاق إلى الولد وكان الوصول إلى هذا الأمر بعيد المنال في مقاييس البشر؛ فقد كبر في السن وكانت امرأته عاقراً، ورأى مريم يرزقها الله، فعلم أن أمره عند الله أهون من ذلك، فاختلى بنفسه ونادى ربه في الخفاء: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، فكانت الإجابة من العلي العظيم: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٤. يونس عليه السلام: إذ ذهب مغاضباً، فسقط في ظلمات ثلاث؛ ظلمة الليل الموحشة، وظلمة البحر الشديد البلاء، وظلمة بطن الحوت المفنية والمهلكة، فما أشده من بلاء لا يستطيع أحد كشفه غير الله! وفهم يونس ذلك فرفع صوته بالدعاء: ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]. أي وكما نجينا يونس من كربته بالدعاء، فكذلك ننجي المؤمنين إذا وقعوا في كرب ثم دعوا الله.

٥. النبي محمد صلى الله عليه وسلم في بدر: يوم بدر رفع يديه بالدعاء يلح على ربه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن كتفه الشريف، وأبو بكر الصديق يشفق عليه ويلتزمه من ورائه ويقول: "يا رسول الله، كفأك

مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك"، فما أنزل يديه حتى قال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع».

فما قام النبي **صلى الله عليه وسلم** بهذه المهمة في الدعاء، ومن قبله الأنبياء الكرام، إلا عندما عرفوا أنه بالدعاء تنزاح الهموم والمتاعب، فكل أمر في هذه الحياة سهل إذا كان يعلم الداعي بأن **الله قريب، قال تعالى:**
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
[البقرة: ١٨٦].

فسبحانه يجيب كل من دعاه حتى وإن كان عاصياً، فهذا الأمر من شمول كرمه وإحسانه جل في علاه، فكرمه واسع والبخل في حقه معدوم. وحتى وإن تأخر في الاستجابة، فلربما كان في إجابته مضرة لك فمنعك خوفاً عليك، ولربما كان الفقد الذي تسأل به **الله** سبباً في الوقوف على بابه، ولولا فقدك إياه ما رأيناك على بابه! فدفعلك بهذا العارض وتأخر عليك في الإجابة حتى تستمر في الاستغاثة به وتنشغل به عن غيره رحمةً بك وحفاظاً عليك. وربما تأخره نوع من أنواع البلاء الذي يحتاج إلى صبر.

فعليك أن لا تغفل عن دعائه وعن استشعار قربه والتلذذ به وأنت تشعر بأنه يسمعك ويراك، فتدعو بكل جوارحك وقد خضعت؛ العقل، والقلب، والجلد، والعظم. فطرق أبواب السماء لا يصلح باللسان فقط، وإنما

يحتاج إلى الامتثال الكامل والخضوع التام حتى ينظر الله إلى حالك فيرى صدق توجّهك: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

حينما تدعو، لا تحمل همَّ الإجابة، فالذي تدعوه فعال لما يريد، فسبحانه لا يحتاج إلى أسباب لإنفاذ أمره، فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فقدرته فوق الأسباب ولا يشاركه في ملكه أحد، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]. فلا يختلط عليه قول، ولا تشتبه عليه الأصوات، وله سبحانه مطلق الإرادة.

خلق الخلق وأخضعهم لسلطانه، ثم تحدّاهم فلم يجاوزوا أمره، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]. فكان أمره قهراً لخلقه جميعاً، وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير.

فمن سألته المال رزقه بغير حساب، ومن أراد الذرية أقر عينه، ومن أراد الملك فلا يُغلب في إعطائه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

وَتَنَزَّعُ الْمُلْكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].
ومن أراد الهداية فهدايته عين الهدى، ومن يهدي الله فهو المهتدي.

فإذا علمت ذلك، فلا يكفيك أن تدعو وأنت تعلم فقط، ولكن يجب عليك أن لا ترفع يديك إلا وأنت موقن بالإجابة. فإذا عزمتم الدعاء فاستجمع همتمك وداوم الطرق، فإن الله يحب العبد اللحوح، فألح في الدعاء كما تحب، يعطك ما تحب.

ويُروى في الأثر أن الله يقول: "يا ابن آدم، اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء".

أسماءه الحسنی

فإذا استعصى عليك الوصول إلى مرادك وتأخرت عليك الإجابة، فاطرق أبواب السماء بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، **قال تعالى**: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فاختر من أسمائه ما أنت في أمس الحاجة إليه:

إذا أصابك مرض فادعه باسمه الشافي .

إذا كنت مغلوباً على أمرك فادعه باسمه الناصر .

إذا كنت في ضيق من العيش فقل: يا غني يا كريم .

إذا كنت مقهوراً فقل: يا عزيز يا منتقم .

إذا كنت تشكو ضعفاً فقل: يا قوي .

إذا كنت تشكو ذنباً فقل: يا تواب يا غفور .

إذا أظلم عليك الطريق فقل: يا هادي .

وإذا لم تكن لك حاجة دنيوية، فارفع يديك وأكثر عليه بما يليق به من

الحمد والثناء، ممثلاً مقام الذل والافتقار إليه **سبحانه** وتعالى،



مستشعراً أنه يراك ويسمعك. ومن منا ليس له حاجة فيدعوه؟ بل من منا من أدرك شيئاً إن فاتته رب العالمين؟! ومن منا من فاتته شيء إن أدرك رب العالمين؟!

□ □ واحذر:

احذر أن تدعو الله وقد نزل في جوفك حرام من طعام أو شراب، أو ترفع يديك بالدعاء والثياب التي عليك من الحرام، فتكون بذلك من المبعدين المحرومين من الإجابة حتى تتوب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»، ثم ذكر: «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟».

□ □ واحذر أيضاً:

أن يزلَّ لسانك فتدعو غير الله، أو تدعو مع الله أحداً، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

زاد على الطريق

لا تنسَ أن تتحرى أوقات استجابة الدعاء، مثل: الثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند نزول الغيث (المطر)، وعند السجود، ويوم عرفة، وغيرها من الأوقات الفاضلة.

وتدعو الله تبارك وتعالى بصدق أن يقبلك من عباده، وأن يوفقك لطاعته، ويرزقك القرب ولذة العبادة، وأن يشرح صدرك وينير قلبك؛ لأن كل ذلك بتوفيقه سبحانه ورضوانه عليك، وليس بقوتك وذكائك ولا بحب الناس لك. ولا يكن كل همك في الدعاء المال والمنصب والدنيا، وإنما اجعل همك الأكبر رضا مولك، فإذا رضي أعطاك كل ما تريد ومنحك ما يصلحك.

إشارة على الطريق (١)

أحياناً يشعر الإنسان بلا مقدمات أو أسباب بمعية الله ولذة القرب منه، ويشعر كأن الدنيا لا تسعه من الفرح، ثم لا يستمر كثيراً ذلك الشعور ثم يختفي. هذا الشعور رحمة من الله تبارك وتعالى يرسله للعبد حتى يحبب إليه القرب منه، فيأنس العبد بهذه اللذة ويبحث عن مصدرها ويسعى لتستمر معه طوال حياته. فإذا فهم العبد مقصود هذه الرسالة الربانية وسعى إليها، فإنه يسير في الطريق الصحيح نحو الله.

إشارة على الطريق (٢)

ادعُ الله في كل شيء، فيما تحتاج وفيما لا تحتاج، ولا تجعل نيتك وهمك مجرد إجابة الدعاء، ولكن اجعل نيتك وهمك الاتصال بالله؛ لأن الله عليم بعباده وبحالهم، فإذا كانوا على صلة بالله أعطاهم ورفع عنهم ما يؤذيهم. فاصلح نفسك واجعل همك القرب منه، فكل أمر إذا أحسنت صلتك بالله هين.

مساكين أهل الدنيا:

قال أحد الصالحين: "مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيّب ما فيها!". قالوا: وما أطيّب ما فيها؟ قال: "محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه".

🏠 الطريق الثاني: اتباع ما يحبه الله واجتناب ما يبغضه

لا يوجد شيء يقربك من الله ويجعله يمنحك حبه أكثر مما افترضه عليك من عقائد وشرائع وعبادات وأخلاق. فإذا عرف الإنسان ما أمره الله به وعرف ما عليه من حلال وحرام والتزم به، كان ذلك كافياً بأن يجعله من عباد الله المقربين والمحبوبين، ويستحق بهذا العناية والرعاية والنصرة من الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنُّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ» [رواه البخاري].

فإن الله سبحانه وتعالى يحب أن يرى العبد وهو يمثل ويدعن لأمره، وأن يعبد العبد ربه كما ارتضى الله له شكل العبادة، وليس كما يحب العبد وتصادف العبادة هواه. فمثلاً: إن الله يحب أن يؤدي العبد الصلاة في وقتها ويكره أن يؤخرها العبد؛ لأنه عندما أداها في وقتها فقد عبد الله في الوقت الذي أراده الله. ولكن عندما يؤخرها عن وقتها حتى ينتهي من أشغال الدنيا، فبذلك يكون العبد قد عبد الله في الوقت الذي يروق له هو، فيكون كعبد السوء الذي يسمع نداء سيده فلا يجيبه إلا عندما يروق له ذلك!

قال ابن القيم رحمه الله: "إذا استقرت محبة الله في القلب استدعت من المحب إثارة محبوبه على غيره"، وهذا الإيثارة هو دليل ثبوت المحبة. فإيثارة ما يريده الله على ما يريده العبد دليل على محبته له. فلو صلى أحد الظهر خمس ركعات ظناً منه أنه يتقرب من الله أكثر، فإن صلاته باطلة، ويكون العبد الذي صلى الظهر أربع ركعات أقرب إلى الله ممن زاد؛ لأن الله يحب أن يرى العبد ممتثالاً مستجيباً له كما أمره ولا يتعدى حدوده. قال الرويم: "المحبة هي الموافقة"، أي موافقتك لأمر الله في كل الأحوال بلا تقليل أو استهانة.

□ الخط السريع

فإذا كان العبد حريصاً على أمر الله وما جاء به رسوله، كانت جميع الطاعات تقربه من الله بسهولة دون مشقة. ففي اللحظة التي يرفع فيها العبد يديه للصلاة مكبراً "الله أكبر"، يكون في هذه اللحظة بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب، يحدثه بلا واسطة. فمن رحمته جل وعلا أنه ليس على أبوابه وزراء أو حراس يمنعون وصولك إليه.

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر (أي أهّمه أو شغله) فزع إلى الصلاة ليقف بين يدي الرحمن. وقال أحد الصالحين: "إذا أردت أن أحدث ربي دخلت في الصلاة، وإذا أردت أن يحدثني ربي قرأت القرآن".

بل إن أجمل ما في الصلاة أنها حوار مباشر بين العبد وربّه، كما في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي...». فهل يوجد قرب أجمل من ذلك؟

ومن وده ورحمته بعباده وهو أعلم بضعفهم، يمد يده لعباده ليقربهم وينقذهم من بحار الظلمات، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ سَابِغُ الْمَسِيءِ اللَّيْلِ». وهو سبحانه ينادي على عباده كل ليلة: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ

وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» [رواه البخاري ومسلم].

☹️ أغیظ موقف للشیطان

لا يوجد موقف أغیظ للشیطان من هذا الموقف الذي يقف فيه الإنسان بين يدي ربه خاشعاً، لذلك كانت الصلاة قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم وراحته، إذ قال: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

وأجمل لحظات القرب للعبد تكون في وقت السجود، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». وقال الله تعالى لنبيه: ﴿كَأَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

موقف من خشوع السلف: رأى ابن وهب سفيان الثوري في الحرم بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة، فلم يرفع رأسه حتى نودي بالعشاء! فلم يكونوا يسجدون لمجرد أداء حركات، وإنما كانوا يعيشون وقتاً مع هذا القرب.

وليست الصلاة وحدها هي التي تقرب العبد من خالقه، بل كل فعل يلتزم فيه العبد بالحلال والحرام؛ فهذه السيدة عائشة رضي الله عنها كانت

تطيب الأموال التي تتصدق بها، وعندما سئلت عن ذلك قالت: "لأن الصدقة تقع في يد **الله** قبل أن تقع في يد الفقير". وتصبح كل عبادة صغيرة أو كبيرة تقربك بسهولة من خالقك، كشرية ماء تعطى لأحد في يوم شديد الحر.

وفي الحديث القدسي الجليل: «إِنَّ **اللَّهَ** عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ...» [رواه مسلم].

فالله تبارك وتعالى يحب أن يرى العبد يقف حيث أمره، ويعيش بجوارحه وقلبه في انسياق وخضوع تام لمقام الخالق العلي: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وانظر ماذا كان يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** في ركوعه ليعلمنا الخضوع: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي».

□ كالعصفور المبلول:

يصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً من مشاهد رحلة الإسراء والمعراج وهو يقول: «رَأَيْتُ جَبْرِيلَ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ». والجلس البالي كالعصفور المبلول بماد المطر من شدة إجلال الله في قلبه، وهو رئيس الملائكة قوي البنية والقدرة، يقف بهذا الشكل وهو لم يعص الله قط! فكيف بمثلي ومثلك ونحن نبارز الله بالمعاصي؟

لذلك أمر إجلال الله واتباع أوامره عظيم، لأننا سوف نُسأل عنه يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]. فإذا دخل الخشوع والإيمان وحب ما أمر الله في القلب، فسوف يكون هذا الشعور بريداً سريعاً يحمل العبد إلى القرب من الله بسهولة دون مشقة.

شكل الامتثال

يكون العبد ممتثلاً للأوامر عندما يأخذها بجملتها وينتهي عن النواهي بجملتها، فلا يفرّق بين قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وبين قوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾، ولا يتخلّى عن مسؤوليته في قوله **صلى الله عليه وسلم**: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»، وبين قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ و ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا﴾ و ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾. هذا المفهوم الشامل هو ما ربّى عليه النبي **صلى الله عليه وسلم** أصحابه.

العكس (ترك المعاصي)

وليس فقط عمل الطاعات يقربك من **الله**، وإنما أيضاً ترك المعاصي والمحرمات يقربك منه. فأن تمنع لسانك وعينك وبطنك وفرجك عن الحرام ابتغاء مرضاة **الله**، فإن ذلك يقربك زلفى.

وفي حديث السبعة الذين يظلمهم **الله** في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ **الله**». فما منعه

إلا خوفه من رب العالمين، وكان هذا الخوف سبباً في استظلاله بظل العرش يوم القيامة.

❑ معلومة

إن الخطوة التي تبتعد بها عما يغضب الله، تقربك من رضاه. ولقد ذهب أبو ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن طرق الخير، فعدّ له طرقاً كثيرة حتى خشي أبو ذر أن يضعف عن بعض العمل، فقال: أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ فيين له النبي أن كفّ النفس عن الشر صدقة عظي، فقال: «تَكُفُّ شَرْكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» [متفق عليه].

رأى أبو يزيد كأنه يناجي ربه في المنام فقال: يا رب، كيف الطريق إليك؟ فقال له: "اترك نفسك وتعال إلي".

وقال يحيى بن معاذ: "ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده".

فإذا كنت تحب الله فلا تفعل ما يغضبه، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ». وقال أيضاً: «الْمُسْلِمُ

مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». فمن منع نفسه عن الحرام فقد فاز وريح، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فإن منع الإنسان نفسه عن المعصية شكل من أشكال التقوى، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ و ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. ومن كان الله معه فهو دائماً قريب، يحظى برعايته فلا يضل ولا يخزي.

قال رجل لأحد الصالحين: كيف آمن أمر الله؟ فقال له: "كن بجوار الرامي تنجو" (أي كن طائعاً لله القادر لتكون في حمايته). فمن عاش يرضي نفسه ويتبع هواه فسيحيا تعيساً، ومن عاش يبحث عن رضا خالقه وقيده نفسه عن المعصية صار في طريق نهايته السعادة، **قال تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

سؤال ذي النون: سئل ذو النون المصري: متى أحب ربي؟ قال: "إذا كان ما يبغضه ربك عندك أمر من الصبر".

كيف تعيش مع الكتبة؟

كان أحد الصالحين إذا استيقظ من نومه يقول
مخاطباً الملكين الكاتبين: "مرحباً بكتبة ربي، اكتبوا في
أول صحيفتي اليوم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله
إلا الله، والله أكبر".

الطريق الثالث: ذكر الله

فذكر الله عز وجل هو أعظم القربات وأسرعها للوصول إلى الله تبارك وتعالى، والذكر هو العبادة التي أمر الله بالإكثار منها لمن أراد الفلاح، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. والذكر يأخذ بيد السائر من أول الطريق حتى يصل به إلى السعادة والسرور في الدنيا والدرجات العلا في الآخرة.

وأول ما يفعله الذكر مع الإنسان أنه يمسح عن قلبه "الران" (الصدأ والذنوب) الذي يمنع الشعور والتلذذ بالطاعة، وتنظيف القلب من تلك الغشاوة يعود القلب إلى سلطانه؛ فالقلب هو ملك الجوارح، وبذكر الله يعود القلب ليأمر وينهى ويكبح ثوران الجوارح وطغيانها في المعاصي. ويرفع الذكر الغشاوة عن العين لترى النور، فيكون الذكر قد انتشله من بحور العمى والظلمات إلى طرق النور، ومن مقام الغفلة إلى الحضور التام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. ثم يزيك الذكر عقل السائر ويصفي روحه، كما قال تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مِثْنًا

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ
بِخَارٍ مِّنْهَا ﴿[الأنعام: ١٢٢].

فيمهذه الحياة الإيمانية يتميز الذاكر عن غيره، قال **صلى الله عليه وسلم**:
«مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». وبذكر الله
يسبق الذاكرون كل السائرين في طريق الله، فعن أبي هريرة **رضي الله عنه**
أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فقالوا: ذهب أهل
الدثور (الأموال) بالدرجات العلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلي
ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتمرون
ويتصدقون، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «أَفَلَا أَعَلِمَكُمُ شَيْئًا تُدْرِكُونَ
بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟... تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ
دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ».

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قالوا: ومن المفردون يا
رسول الله؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ». فالذاكرون هم
المسرعون الذين لا يتلعثمون في الطريق، قال **صلى الله عليه وسلم**:
«مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ دُبْرُ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً،
وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً».

فذكر الله هو خير الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ...؟» قالوا: بلى، قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى».

□ ♥ ينجي الله به الذاكرين

وينجي الله بالذكر الذاكرين على طريق الله:

يونس عليه السلام: نجا من الهلاك المؤكد في بطن الحوت بذكر الله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفاء: ١٤٣-١٤٤]، فنادى في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فجاء الفرج المباشر.

إبراهيم عليه السلام: عندما أُلقي في النار فلم يتوقف عن ذكر: "حسبي الله ونعم الوكيل"، فأوحى الله إلى النار لتكون برداً وسلاماً عليه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠].

وبالذكر يتسع كل ضيق ويعود كل غائب؛ جاء رجل إلى النبي يشكو أسر ابنه، فقال له النبي وزوجته: «أكثرنا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»،

فظلوا يذكرون الله طوال الليل حتى انحلت حلقات الحديد من يدي ابنهم وعاد إليهم غانماً سالماً بحمد الله وساق أغنام أعدائه.

يحفظ الله به الجوارح

ويحفظ الله بالذكر جوارح الذاكرين حتى يصلوا إليه سالمين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ويظل الذكر يحدو بصاحبه ويسرع به على الطريق، ويتصف هؤلاء بصفة الرجال الحقيقيين: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْمِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

طوق نجاة من عذاب الله

فلا يوجد عمل أنجى من عذاب الله من الذكر، قال صلى الله عليه وسلم: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

مفتاح القرب بيدك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا...». فالله برحمته جعل مفتاح القرب بيدك أنت.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَّتَاهُ». فسبحانه لا يعاملنا معاملة ملوك الدنيا؛ فملوك الدنيا يحتاج دخولك عليهم إلى مواعيد وحراس ويحددون لك مسبقاً مكان وزمان المقابلة وما ستتكلّم فيه، أما رب العالمين فإننا ندخل عليه في أي وقت وبأي مكان ومهما سألته فلن يملّ منك، لأنه سبحانه تفضل قائلاً: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

كان أحد الصالحين يخلو كثيراً بذكر الله، فقالوا له: ألا تستوحش؟ فقال لهم: "وكيف أستوحش وهو يقول: وأنا معه إذا ذكرني؟!".

□ عبادَة سهلة

الذكر عبادة سهلة وخفيفة لا تحتاج إلى تكاليف، فيجوز للعبد أن يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، **قال تعالى:** ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. قال ابن عباس: "بالليل والنهار، في البر والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، والمرض والصحة".

قال معاذ بن جبل **رضي الله عنه:** "ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها".

وقال الحسن البصري: "كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل".

ولا تنس أن تسأل الله العون على ذكره، كما كان النبي يدعو: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

□ علامات تعجب!

عجبت لمن عرف هذه اللذة وهذا الأجر كيف يُقلّ من الذكر؟ وكيف يقلّ الذاكرون؟!

عجبتُ لمن مرَّ يومه كيف يمر وهو لم يأنس بالله ولو ساعة؟!

عجبتُ لمن عرف كيف يكون ذكره في الملاء الأعلى ثم يغفل؟!

عجبتُ لمن أراد الجنة كيف تمر عليه ساعة لا يذكر الله فيها؟!

عجبتُ لمن يحب الله كيف يتشبه بالمنافقين الذين لا يذكرون الله إلا قليلاً؟!

عجبتُ لمن أطلت عليه شمس يوم جديد ولم يبدأ يومه بـ "لا حول ولا قوة إلا بالله"؟!

عجبتُ لمن غابت عنه شمس يومه ولم يستغفر الله ولو مائة مرة قبل نومه؟!

عجبتُ لمن جاء إلى الدنيا وعاش فيها أعواماً طويلة ولم يذق أجمل ما فيها: لذة المناجاة؟!

عجبتُ لمن عرف الذكر ثم مرَّ عليه يومه وهو يشكو فيه همّاً أو حزناً أو ضيقاً؟!

عجبتُ لمن عرف الذكر ثم طرق كل أبواب الخلق وترك باب الخالق؟!

وكما قال أبو الوليد الباجي رحمه الله:

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي سَاعَهُ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَمِينًا بِهَا ... وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

الفصل الثاني: حيل الشيطان وخطواته:

قصة عابد الشجرة والشيطان

وجد رجل في غابر الأزمان شجرة يعبدها الناس من دون الله، فأخذ فأسه وغضب لله وأراد أن يقطعها، فخرج له الشيطان في صورة شيخ ليمنعه وصارعه، فتغلب الرجل على الشيطان وصرعه في الأرض بقوة إيمانه وصدق توجهه لله. ففكر الشيطان في حيلة وقال للرجل: "لا تقطع الشجرة وأعطيك كل يوم ديناراً من الذهب تجده تحت وسادتك"، فرضي الرجل بتركها من أجل المال.

وفي اليوم التالي وجد الذهب، وفي اليوم الثالث لم يجد شيئاً، فغضب وأخذ فأسه ليقطع الشجرة مرة أخرى، فخرج له الشيطان وصارعه، فتغلب الشيطان هذه المرة وصرع الرجل على الأرض! فتعجب الرجل وقال: كيف غلبتني هذه المرة وقد صرعتك قبل ذلك؟ فقال له الشيطان: "في المرة الأولى غلبتني لأنك خرجت غاضباً لله وكانت نيتك خالصة له، أما في هذه المرة فخرجت غاضباً لنفسك ولأجل المال فغلبتك!".

حيل الشيطان وخطواته

إذا قررت أن تصل إلى الله، فعليك أن تحذر مصائد الشيطان؛ فإن الشيطان لا يجلس للعصاة في طريقهم بقدر ما يجلس للطائعين، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ». فالعصاة يوفرون عليه الوسوسة لأنهم يتبعونه تلقائياً، ولكنه يترصد للمؤمنين السائرين لرضا الرحمن، فينصب لهم الشباك.

ولقد ذكر القرآن الوعد والعهد الذي قطعه الشيطان على نفسه إمعاناً في إهلاك البشر: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٧]. ومنذ تلك اللحظة وهو ينصب شباكه في حياتهم وعباداتهم وأموالهم.

فخصص الشيطان من ذريته من أفرغ نفسه لإبطال صلاة بني آدم (مثل خنزب).

وآخر يجلس للإفساد بين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته. وآخر يتحايل على الإنسان ليزين له الدنيا؛ فيسهل له الربا ويسميه "فوائد"، ويجعل له الرشوة ويسمها "هدية" أو "تسهيل مأمورية"، ويزين له النظر الحرام والكلام الحرام.

ويريد الشيطان أن يتلف على الإنسان كل شيء في حياته، وسهام إبليس وذريته تتطاير وتحيط بالمرء: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

ونجحت خطط الشيطان التي وعد بها في بداية صراعه مع الإنسان في إجماعه بـ "اللجام"، فيتحكم فيه ويقوده حيث أراد، **قال تعالى** حكاية عنه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَحْرَزْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِقَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]. والاحتناق في اللغة هو وضع اللجام في حنك الدابة لقيادتها وتوجيهها بسهولة، وكذلك يفعل الشيطان بلجام الشهوات والشبهات!

واصبحت أفعاله من صخب وضجيج وعري موضبة وتقدماً للأسف، وصدق **الله** إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]. وللشيطان في حربه خطوات يتبعها:

الشهوات

الشهوات هي الملاذ الدنيوية المحسوسة التي استطاع الشيطان أن يذل ويخضع بها كثيراً من بني الإنسان، واستعان عليها بعدو داخلي هو "النفس الأمارة بالسوء"، **قال تعالى** حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]. علم الشيطان نقاط ضعف الإنسان: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

فخلط الشيطان هذه الشهوات بالحرام ليدمر نور الإيمان، وفي الحديث: «إِنَّ إبليسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً» [رواه مسلم]. **وقال تعالى**: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥].

شهوة المال الحرام: دفع الإنسان لجمعه من حلال وحرام ولو على حساب ظلم الناس، وخوفهم الفقر إن تصدقوا: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨].

شهوة النساء: خلطها بالحرام، قال **صلى الله عليه وسلم**: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّمَا إِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ».

شهوة المنصب والسلطة: جعل المنصب قيداً لصاحبه يمنعه عن مساعدة الآخرين، وسيكون جزاؤه من جنس العمل يوم القيامة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ خُدُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَخِزُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ فَلَئِمَّ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٢٨-٣٦].

□ شهوات إضافية

ولا يكتفي الشيطان بهذه الشهوات الأصلية، بل يسعى لتكوين شهوات إضافية؛ فيدخل إلى حواس الإنسان وجوارحه (من سمع وبصر ولسان ويد ورجل) فيُدخل عليها الحرام حتى تعتاد عليه، فتتحول الجوارح من نَعَم يجب شكرها إلى مصادر للمعصية!

يدخل لحاسة البصر بحب النظر إلى الحرام فتتحول النعمة إلى شهوة آثمة.

يتسلط على اللسان بالشهوة المحرمة من غيبة ونميمة وقذف للآخرين.

يتسلط على حاسة السمع بسماع ما حرم الله من كلام باطل وغناء فاحش.

يدخل ليديه وقدمه بالبطش والمشي إلى الحرام، حتى يتشرب القلب المعاصي وتعتاد النفس عليها فيصعب التخلص منها.

كبسولة العلاج (١)

يجب على كل إنسان أن يراقب نفسه وجوارحه جيداً، وأن يجلس مع نفسه جلسة مصارحة منصفة، ويكتب نقاط ضعفه التي يدخل منها الشيطان ليقويها بالتقوى، ويعرف نقاط قوته فينميها.

عليك أن ترسل رسالة إلى قلبك تُذكره فيها أنه هو "سيد الجوارح" والمسئول الأول عنها، وأنه السبب في مكافأتها بالجنة إن أحسنت أو هلاكها بالنار إن عصت. فيحاسب نفسه كل يوم قبل نومه؛ فإن وجد خيراً حمد الله واستمر، وإن وجد تقصيراً عاتب نفسه واستغفر، وإن غلبته نفسه بالمعاصي عاقبها بما تكره من صيام وقيام وصدقة وتوسّع في الطاعات حتى يستعيد قيادتها.

يجب على الإنسان أن يشدد على نفسه في السؤال اليوم لتخفيف السؤال غداً أمام رب العالمين: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. والمحاسبة تشمل أيضاً التقصير في الطاعات (كالصلوات وبر الوالدين والذكر).

ZZz التثبيط والتكاسل

فإذا تغلب الإنسان على شهواته وقرر التقرب من الله، انتقل معه الشيطان إلى خطوة "التثبيط والتكاسل"؛ فيأتيه بالكسل ليقعده عن الطاعات لعله يردّه إلى الشهوات مجدداً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» [متفق عليه].

ويظل به هكذا طوال يومه يختلق له الحجج؛ فإن كانت هناك طاعة قال له: "اتركها لغيرك سيفعلها"، وتارة يقول: "هذا الأمر مشهور من غيرك فلا داعي لك"، وتارة يقول: "إذا فعل الناس كلهم فافعل مثلهم"، وتارة يذكره بأولاده وزوجته ليشغله. وإن لم يجد مع العبد حلاً حاول تأخيرته وإقناعه بفوات الأوان!

قصة كعب بن مالك رضي الله عنه: نموذج للتردد والتأخير في غزوة تبوك، إذ قال: "والله ما جمعتُ قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك

الغزوة... فطقت أعدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض من جهازي شيئاً، فأقول لنفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استمر بالناس الجد... فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو... فطفت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله يحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموساً عليه بالنفاق أو رجلاً ممن عذر الله".

لذلك أمرنا الله تبارك وتعالى بالمسارعة بالطاعات ودفع الكسل: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ و ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ . وبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن مجاهدة النفس في الكسل والشح لها أجر أعظم، فعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ».

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز من الكسل كل يوم صباحاً ومساءً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...». لأن الكسل مرض نفسي خطير يقعد المرء عن القيام بواجبه نحو دينه ومجتمعه وأسرته ونفسه.

كيسولة العلاج (٢)

١. الاستعاذة الدائمة من الكسل كما كان يفعل النبي صلى الله عليه

وسلم.

٢. عدم تأخير الأعمال والطاعات فوراً حتى لا تثقل على النفس.

٣. المسارعة إلى العمل الصالح وتثبيت أوقات الطاعات والمداومة عليها حتى تعتادها النفس.

٤. عدم ترك مجال للنفس لتشعر بفوات الأوان ما دام في العمر بقية.

٥. مراغمة الشيطان ومحاربته بالاستغفار، وفي الحديث: قال رجل: إني أذنب ثم أستغفر ثم أعود؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «استغفر ربك»، حتى قال في الرابعة: «استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المدحور».

تغيير النية (الرياء والعجب)

فإذا تغلب الإنسان على شهواته وكسله وتحرك للطاعة، لجأ الشيطان لخطوة "تغيير النية" لإفساد عمله حتى لا يُقبل، قال **صلى الله عليه وسلم**: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

فيدخل الرياء والشرك الخفي؛ فيزين في قلبه تحسين العمل ابتغاء ثناء الناس ليقال عنه عابد أو كريم أو شجاع. فعن أبي موسى الأشعري أن أعرابياً أتى النبي فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال **صلى الله عليه وسلم**: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

ولا يزال الشيطان بالعبد حتى يدخل في قلبه "العجب بعبادته" فيبيت يعبد الله ويستيقظ معجباً بنفسه ويرى أنه لا يوجد خير منه، وينظر للناس باستعلاء، ويرى أنه الأحق بفضل الله! وهذا الداء هو ما دفع إبليس لقول: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فرأى الأفضلية لنفسه لشدة عبادته القديمة فتكبر وعصى وطرد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "رُبَّ معصيةٍ أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعةٍ أورثت عزّاً واستكباراً".

لأن العاصي قد يندم وينكسر لله فيقربه ذلك، بينما الطائع المعجب بنفسه يستعلي فيطرده الله. وهذه الأمراض قد تصيب المجموعات المؤمنة أيضاً (كحب المغنم والأفضلية والعجب بالكثرة كما حدث يوم حنين)، قال تعالى عن بعض الصحابة في أحد: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾. وكل هذه الأمراض تستوجب الفرقة والتخلي الرباني عنهم.

كبسولة العلاج (٣)

يجب على الإنسان أن يراقب قلبه جيداً؛ لأنه محل نظر الله ومحل سهام الشيطان. وأكثر ما ينقي القلب هو "محبة الله والشوق إليه"، فإذا قويت المحبة، جاءت بالإخلاص وطردت الرياء وحب الدنيا، وأشعرت الإنسان بالتقصير والافتقار الدائم لله، فتطرد العجب والكبر. ويعلم العبد أن الأفضلية بين الخلق تسير بحكمة بالغة من الله لا تدركها كل العقول.

مقولة معروف الكرخي: "رُبَّ رجل صالح سار على الماء بصلاحه، ورجل أشد منه صلاحاً مات عطشاً!".

إضلال بني آدم في الطريق (الفخ الأخير)

إذا نجا العبد من الشهوات والكسل والرياء، انتقل معه الشيطان إلى المرحلة الرابعة والأخيرة وهي "إضلال بني آدم في الطريق"؛ فيستغل حماسه الزائدة أو جهله ببعض أحكام الدين ليدخل إليه بشيء يهلكه في الطريق وهو لا يشعر! **قال تعالى** حكاية عنه: ﴿وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَا مُنِيَّهُمْ وَلَا مُرَّهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ أَذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ [النساء: ١١٩].

وهذا الفخ الخفي يسقط فيه كثير من الملتزمين من حيث يحبون! تفتيت الوحدة: تارة يفرقهم إلى جماعات ومجموعات شتى ويقنعهم بأنه نوع من الاختلاف المحمود، فيقضي على وحدتهم التي أحباها الله وينزل بها النصر في وقت الصراع مع الأعداء.

الجدال العقيم: تارة يدفعهم للجدال في التفاصيل، قال **صلى الله عليه وسلم**: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ .

العبادات المبتدعة: تارة يستغل حماسهم فيجعلهم يذكرون الله بالمزامير والطبول والتميل والرقص، ويظنون أن ذلك يقرهم وهم يبتعدون لصياغة العبادة بشكل لا يليق بجلال الله.

الغلو وتكفير الناس: تارة يجعل العبد يشتد في طاعته ثم يقنعه الشيطان بوجوب إسقاط الأحكام وتكفير الناس والنظر إليهم باستعلاء، وربما أباح دماء المسلمين وأموالهم حماسةً للدين وظناً منه أنه يقربه من الله! وهذا ما كان عليه "الخوارج" في زمن الصحابة؛ فقد كانوا أهل عبادة وقيام وقراءة قرآن، ورغم ذلك استحلوا دماء الصحابة وقتلوهم وضاعوا!

تحريم الطيبات زهداً باطلاً: تارة يقنع المؤمن بتحريم المباحات على نفسه تقرباً لله؛ كمن رآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يقف في الشمس، فسأل عنه فقالوا: نذر أن لا يتكلم، ولا يستظل، وأن يصوم، فقال صلى الله عليه وسلم: «مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ».

وكما حدث مع الرهط الثلاثة الذين قال أحدهم: "أنا أصلي الليل أبداً"، وقال الآخر: "أنا أصوم الدهر ولا أفطر"، وقال الآخر: "أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً"، فجاءهم الرد النبوي الحاسم: «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ

وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لِكَيِّْي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

كبسولة العلاج (٤)

١. أن يتفقه الإنسان في دينه (فقهياً وعقائدياً وأخلاقياً) ليعرف ما هو طاعة صحيحة وما هو غلو وابتداع يبعده عن الله.
٢. التوقف التام عن أي قول أو عمل أو مناقشة تسبب تفريق المسلمين وتأخير وحدتهم.
٣. عدم تعمد الإضرار بالجسد الذي هو مناط التكليف؛ فكيف يعمر الأرض ويدافع عن العرض من أضعف جسده بالتعسف؟
- فإذا نجا الإنسان من هذه السهام، تخلص من قيد الشيطان ودخل في رعاية الرحمن: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]. وحينها يقف على أبواب القبول؛ إذا سجد اقترب، وإذا دعا سُمع، وإذا تصدق قُبِل. فلا يبقى عليه إلا الحفاظ على هذا القرب، وأن ينطلق ويأخذ بيد غيره وأهل بيته ليعمَّ النور في كل مكان.

الخاتمة

هنيئاً لك أيها السائر إلى الله سيرك في هذا الطريق، فما أغلاها من خطوات! هنيئاً لك سيرك في ركب الصالحين والمخلصين والذاكرين والطائعين من كل بقاع الأرض نحو الرحمن.

هنيئاً لك سيرك في طريق قد شقّه وصار فيه قبلك الأنبياء والرّبانىون والصحابه والتابعون وسائر المؤمنين؛ طريق أرضه نور، وجوانبه نور، ويكسي السائر فيه بالنور، ودليلهم فيه الرحمن، ونهايته الفوز برضا الله وجنته المستقرة بجوار عرش الرحمن جل في علاه.

المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري - الإمام البخاري.
٣. صحيح مسلم - الإمام مسلم.
٤. رياض الصالحين - الإمام النووي.
٥. إحياء علوم الدين - الإمام الغزالي.
٦. صفة الصفوة - الإمام ابن الجوزي.
٧. تفسير الطبري - الإمام ابن جرير الطبري.
٨. مختصر تفسير ابن كثير - الشيخ أحمد شاكر.
٩. البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير.
١٠. موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق.

م	رقم الصفحة	الموضوع
• ٣		كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة
• ٨		تمهيد وتقريظ
• ١٠		الإهداء
• ١١		المقدمة
• ١٤		مفهوم الوصول إلى الله
• ١٨		طرق الباب
• ٢٦		أسماءه الحسنی
• ٢٨		زاد على الطريق
• ٣٠		مساكين أهل الدنيا
• ٣٣		الخط السريع
• ٣٦		كالعصفور المبلول
• ٣٧		شكل الامتثال
• ٤١		كيف تعيش مع الكتبة؟
• ٤٥		ينجي الله به الذاكرين
• ٤٦		يحفظ الله به الجوارح
• ٤٧		مفتاح القرب بيدك
• ٤٨		عبادة سهلة
• ٥١		حيل الشيطان وخطواته
• ٥٥		الشهوات
• ٥٨		كبسولة العلاج
• ٦٨		الخاتمة